

اللون وتأثيره في الإنسان

د. رانيا فرح
أخصائية صيدلة وباحثة
في علوم الإيزوتيريك

ينظر المرء من حوله ليجد أن الألوان تصبغ الحياة والوجود. وينظر إلى نفسه فيراها تنجذب شعورياً أو لا شعورياً إلى ألوان معينة دونما سواها. منها ما يريحه ويتناسب مع ذوقه، ومنها ما لا ينسجم معه، وإنما الأهم هو أنه يتأثر بها، يتذوقها ويتفاعل معها حتى بالفطرة. مَنْ تفتحت في نفسه بذور حس الجمال، ومَنْ تميّز بمشاعر مرهفة وفكر شفاف، لا بد أن يستشعر أهمية الألوان ويستشف تأثيرها في باطنه. بذلك يعي وجود رابط خفي يجمعه بها. فكثيراً ما يلجأ المرء إلى الألوان للتعبير عن حالة نفسية أو للاستفادة من ميزاتها ومعانيها ولو كان ذلك أحياناً لاوعياً منه.





على تعزيز الصفات الإيجابية كالمحبة التي يمثلها اللون الأزرق السماوي مثلاً أو الإرادة القوية التي يمثلها اللون الأحمر القرمزي، إلا أن هذا التأثير يبقى ثانوياً أو نظرياً لا يكتمل إلا في التطبيق العملي الحياتي. والسبب بكل بساطة يعود إلى كون الإنسان محور ذاته ومحور الحياة. بمعنى آخر إن اكتساب أو تقوية مشاعر المحبة يتم عبر ممارستها في المساعدة مثلاً أو عن طريق ممارسة ميزة الاحتواء والصبر والعطف في وجه البغض والحسد والحقد.

إن مقدرة الإنسان الذاتية وإرادته في تحقيق شفافه أو في اكتساب أي صفة داخلية هي أقوى من أي تأثير خارجي كالألوان أو غيرها، التي ربما يُبرر استعمالها في المراحل الأولى من العلاجات النفسية، وإرادة المرء تلك يحركها الفكر، لأن الفكر هو القائد في تغيير حياة المرء وتحسينها، ليصبح المرء سيد نفسه ومصيره، سيد شخصيته، طباعه وسلوكه إن عمل على تقوية الفكر بإيجابية ووعي في ظل معرفة الباطن الإنسانية. ولجوء المرء للألوان لاكتساب صفة معينة إيجابية يعني أنه وعي أو اعتراف بسلبية معينة وقرر التخلص منها واكتساب الإيجابية مكانها، ما يعني أن كيانه الداخلي أصبح على استعداد للتفاعل مع اللون، وبالتالي تشرب الصفة الجديدة. لكن هذه الصفة تبقى عرضة للاضمحلال إن لم يعمل المرء على تقويتها عبر تطبيقها عملياً في حياته.

فهل من سر وراء اللجوء إلى شاطئ بحر أزرق نابض بالحياة لتبادل الأحاديث الحميمة، والبوح بأسرار دفينه، والتعهد بوعود مستقبلية بعيداً عن صخب المدينة وضجيج المقاهي؟

ألا ينكب الفنان الرسام في إبداع لوحة تضج بتدرجات الألوان والظلال تعبيراً عن حالة نفسية أو ذوق أو مزاج معين؟

إن للألوان تأثيراً مباشراً على حالة المرء النفسية، يمكن اختباره عند الجلوس في الطبيعة أو على شرفة المنزل عبر التأمل في ما يضيفه لون الطبيعة الخضراء من مشاعر هدوء وصفاء. والتجربة خير برهان.

ولعل ما تقدم ليس بالجديد. فعلم النفس الحديث وضّح بعض معاني الألوان، ميزاتها وصفاتها وتنبيه إلى تأثيرها في حالة المرء الجسدية والصحية، النفسية والفكرية، كما بدأ باستعمال الألوان في العلاجات المختلفة. لكن هل استطاع كشف اللغز القديم الذي جمع الألوان بالإنسان والسر وراء تواصل هذا الأخير معها والتأثر بها؟

لقد وجدت الألوان مع بدء الوجود. فلا وجود دون ألوان ولا ألوان دون وجود. والرابط الخفي الذي يجمع الإنسان والألوان أن الألوان قائمة أصلاً في كيانه، وبالتحديد في مكوناته الباطنية اللا منظورة، أي في أجهزة وعيه. ومع أن الألوان تساعد على الشفاء من الأمراض العصبية وعلى إراحة النفس، لكنها لا تضمن الشفاء ما لم يعمل الإنسان على نفسه، كما تساعد